العلاقات الدلالية في سورة الزخرف (دراسة أسلوبيّة وصفية تحليلية)

الباحث بدر بن ناصر بن مالك البطاشي، جامعة الاسراء، الأردن
د. عمر عبدالله العنبر، جامعة الاسراء، الأردن
Omar.al-anbar@iu.edu.jo

الملخص: يسلط هذا البحث الضوء على العلاقات الدلالية في سورة الزخرف من خلال الكشف عن جماليّات العلاقات الدلالية في الظواهر الأسلوبيّة التي تتعاضد لتحقيق الأسلوبيّة، وتتوافق بشكل إعجازي مع مضامينها وأهدافها، وتمثلت هذه الظواهر في عدول: (الاستفهام، والأمر) عن المعنى الأصلى إلى المعاني الإضافية، وفق أمثلة أهمها: الإنكار، النفي، الإباحة، وغيره من الدلالات، وأمّا العلاقات الدلالية في الترادف، والمشترك اللفظي فتعرض تطبيقياً من خلال البحث في المشترك اللفظي، ويظهر التنوع والثراء في سورة الزخرف في استخدام المشترك اللفظي والترادف.

الكلمات المفتاحية: *سورة الزخرف، العلاقات الدلالية، الترادف، المشترك اللفظي، الإنكار، النفي*.

Semantic relations in Surat Al-Zukhruf (A stylistic, descriptive and analytical study)

Badar Nasser Malik Al Battashi, Isra Unversity, Amman, Jordan
Dr. Omar Abdullah Al Anbar, Isra Unversity, Amman, Jordan

Abstract: *This research sheds light on the semantic relationships in Surat Al-Zukhruf by revealing the aesthetics of semantic relationships in stylistic phenomena that mutually reinforce to achieve stylistics, and miraculously correspond to their contents and objectives, and these phenomena were represented in Adoul: (interrogative, and command) from the original meaning to the additional meanings, according to examples, the most important of which are: denial, negation, permissibility, and other semantics, and the semantic relationships in tandem, and the verbal joint are presented applied through research in the verbal common, and diversity and richness appear in Surat Al-Zukhruf in Use of verbal joint and synonym. Keywords: Surah Al-Zukhruf,*

Keywords: *Semantic Relationships, Synonymy, Verbal Common, Denial, Negation .*

المقدمة:

قامت الدراسات اللغوية بخدمة القرآن الكريم، ومحاولة فهمه، وإفهامه لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، وقد أسدى القرآن الكريم خدمة عظيمة للغة العربية، إذ حفظها من التبديل، والتغيير، والذوبان في لغة أخرى، ولعل الجانب الدلالي أكثر المستويات أهمية، وذلك لمحاولة العلماء القدامى فهم معاني ألفاظه ودلالاته وتراكيبه وجمله، وما تحويه من أوامر ونواهٍ، والكثير من الظواهر اللغوية التي زَخِرَ بها القرآن الكريم، وعلماؤنا لم يألوا جهدًا في خدمة القرآن الكريم، وكتابة المؤلفات الكثيرة في مجال القرآن الكريم، وسنتناول في هذا البحث العلاقات الدلالية في سورة الزخرف (الترادف، والمشترك اللفظي)، ومن قبلها دلالة عدول في كل من الاستفهام والأمر عن معناهم الأصلي إلى دلالات كثيرة.

والأسلوبيّة الدلالية تعني:"البحث في معجمية لغة معينة، ودلالة الكلمات فيها، ولاسيما التبدل الذي يطرأ على معانيها خلال الزمن"(1). ويتمثل في دراسات معاني الكلمات ودلالاتها في النص، والأسلوبيّة الدلالية تهتم في المقام الأول بالكلمات: "لِمَا لها من تأثير في شبكة المعاني داخل النص لتكوين الشكلية، ويتم التركيز على الألفاظ وتركيبها، وتجاورها، ويركز على الصيغ الاشتقاقية، وما لها من دور في تكوين الفكرة"(2). والأسلوبيّة الدلالية تهتم في المنزلة الأولى بشبكة المعاني داخل النص، وتركز على الألفاظ والكلمات النصيّة، علاوة إلى الصيغ الاشتقاقية، وينقسم البحث إلى مبحثين:المبحث الأول: الاستفهام والأمر، المبحث الثاني: العلاقات الدلالية.

المبحث الأول: الدلالة الأسلوبيّة بين الاستفهام والأمر.

أولًا: الدلالة الأسلوبيّة في الاستفهام

جاء في لسان العرب: "استفهمه،سأله أنْ يفهمه، وقد استفهمني الشيء فافهمته وفهمته تفهيمًا"(3).و هو طلب الفهم، ويعرف (الجرجاني) الاستفهام بأنّه: "طَلَب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وهو استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أنْ يخبرك". والتعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي يتقاربان بصورة كبيرة لطلب الفهم والاستخبار عن شيء لم يكن معلومًا عند المستفهم، ويعرف الاستفهام بوصفه: "هو من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والاستفسار لمعرفة شيء مجهول لدى المستفهم أو السائل"(4). وبهذا المعنى ليس ببعيد عن التعريف السابق، إذْ يدور حول طلب الفهم والاستخبار.

وأدوات الاستفهام تنقسم إلى قسمين: "حروف وهما (الهمزة وهل)، وأسماء وهي: (مَنْ، وما، وكيف، أين، وأنّى، وأيّان، وكم، وأيّ) وهذه الأسماء: (دلت على معنى في نفسها بحكم الاسمية (فأين) دلت على المكان و (كيف) دلت على الحال، وكذلك أسماء الجزاء و(من) دلت على من يعقل، و (ما) دلت على ما لا يعقل، وأمّا دلالتها على الاستفهام والجزاء فعلى تقدير حرفيها فهما شيئان دلا على شيئين، والاسم دَلّ على مسماه، والحرف أفاد في غيره معناه، ويؤيد ذلك بناؤه لتضمنها معنى الحرف"(5).

ومن الناحية المجازية الدلالية يكون السائل عندها عالماً بالخبر؛ ولكنه يسأل المخاطب ليحقق غرضًا في نفسه: "فالاستفهام المجازي لا يطلب به المتكلم الفهم لنفسه، وإمّا يريد تفهيم المخاطب أو السامع، واستعمال أسلوب الاستفهام مجازًا يكسب المعاني طبيعة تختلف عمّا هي عليه في صورتها الخبرية، فتجعلها أكثر حيوية، وتزيد من الإقناع والتأثير بها، وذلك لَمّا في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب لانتباهه، ومن إشراكه في التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب من دون أنْ يُملى عليه"(6).

---

(1) نواري، سعودي أبو زيد، 2007، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ط)، ص37، (بتصرف).

(2) الزمر، أحمد قاسم، 1996، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، ص81.

(3) ابن منظور،جمال الدين،1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،ج2 ، ص459.

(4) عبد الغني، أيمن ، الكافي في البلاغة، تقديم: رشدي طعيمة، فتحي حجازي، ياسر برهامي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 240.

(5) ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج8، ص3.

(6) عرفة، عبد العزيز المعطي، 1984،من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، عالم الكتب، بيروت، ط2، ص103.

نماذج تطبيقية للاستفهام الاستنكاري في سورة الزخرف:

إنّ خروج الاستفهام من معناه الأصلي إلى دلالة أخرى يزيد المعنى جمالًا وتأثيرًا لدى المتلقي؛ لذلك حفلت آيات القرآن الكريم بهذا النمط من الاستفام المجازي، وقال (ابن جني): "إنّ المستفهم عن الشيء قد يكون عارفًا به مع استفهامه في الظاهر عنه، ولكن غرضه الاستفهام عن أشياء، ومنها: أنْ يرى المسؤول أنّه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أنْ يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بمَا السائل عارف به؟ ومنها أنْ يرى الحاضر غيرهما أنّه بصورة السائل المسترشد، لَمِا له في ذلك من الغرض، ومنها أنْ يُعدُّ ذلك لما يعد ممّا يتوقعه"(1). ويعدد (ابن جني) الأغراض التي يمكن أن تكون من وراء الاستفهام المجازي، فتارة يكون الغرض مدى معرفة المخاطب، وتارة أخرى يكون لإثبات وإقرار شيئًا محدد، وأغراض الاستفهام المجازي متعددة مثل: التقرير، والنفي، والإنكار، والتعجب إلى غيره من الأغراض المتناثرة في النصوص، وقد ورد الاستفهام المجازي في سورة الزخرف، وإليكم بعض حالاته:

1 ــ الإنكار: الإنكار يكون للتوبيخ ويكون للتكذيب، وأنْ تنكر على المخاطب، وتستهجن منه ما حدث: "ليتنبّه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعيي بالجواب"(2). الإنكار هو إلقاء اللوم على شخص معين، حتى يتدارك أخطاءه ويعود إلى الصواب، ويكون الاستفهام من أجل التنبيه.

قال الله تعالى: { أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ(5) } (الزخرف: 5). وإنّ الهمزة في قوله: {أفنضرب عنكم الذكر صفحًا}خرجت وانزاحت من معناه الأصلي الاستفهام إلى دلالة جديدة تدعم معنى الإنكار (إذ أنكر الله عليهم صدودهم وتكذيبهم له). ا

النموذج الثاني، قال الله تعالى: أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ}(الزخرف: 16). ويَعْجَبُ اللهمن خَلْقه، وبعدما خَلَق لهم مايركبون ويقضون حوائجهم، ويسافرون إلى بلاد لم يكن بالغوها إلا بشق الأنفس، ويتهمونه بهذا الافتراء: "والهمزة للإنكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم"(3). وهذا العدول الدلالي يعمل على تبيان شدة ما يفعلون ويقولون، وهذا العدول يساعد على توصيل المعنى بصورة تشد انتباه القارئ والسامع.

قال الله تعالى{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ }(الزخرف: 22). تميز البنية اللغوية للتركيب الاستفهامي بدخول الهمزة على الجملة مفيدة بمعنى الإنكار والتعجب، وعندما أُنزل القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ) قال الكفار هذا سحر ولا نؤمن به، ثم قالوا لولا أنزل الله هذا القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين لآمنّا كذبًا به؛ ولهذا الغرض تم استخدام الهمزة الاستفهام الإنكار والتعجب من أحوالهم وإرادتهم في القسمة بحسب ما يحبون، تجهيلًا لهم واستركاكًا لعقولهم.

قال الله تعالى:{ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}(الزخرف: 40). إنّ الغرض الأسلوبي الذي يقتضي الهمزة، أبلغ وأقوى في الإنكار، وانصرف الاستفهام إلى معنى الإنكار الممزوج بالتوبيخ دون معناه الحقيقي، ولذلك لم يتبع بإجابة عن سؤال بل استمر في الإنكار والتوبيخ بأداة الاستفهام الهمزة، وقد خرجت للإنكار الإبطالي على مَن يدعى وقوع الشيء، وخروج الاستفهام من المعنى الأصلي إلى الاستفهام الإنكاري التعجبي الذي ينفي الرتابة عن النص؛ لأنّه يُعدّ شكلًا من أشكال التنوّع في الأساليب، والانتقال من الخبر إلى الإنشاء: إضافة إلى أنّه يدفع المخاطبين إلى التفكّر والتأمل.

2 ــ التقرير: يُعرّف التقرير بوصفه: "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر استقرّ عنده"(4). فأنت لا تستفهم منه بنعم أو لا، أفعلَ أم لم يفعل، بل تريد أنْ تُعلمه وتقرره على ما بداخلك؛ ولذا عرّفه أهل البلاغة بكونه: "استفهام غايته حمل السامع على الإقرار". أيّ الاعتراف بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه.

قال الله تعالى: { وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } (الزخرف: 58). ولَمّا ضرب (ابن الزبعري) عيسى بن مريم (عليه السلام) مثلًا لآلهتهم وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه، وقالوا: يا محمد أآلهتنا خير عندك من عيسى، أم عيسى خير عندك من آلهتنا؟ إذْ كان عيسى في النار، فلا بأس بكوننا مع آلهتنا في النار، وضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الجدال لا لطلب الحق، وعُدِل الاستفهام

---

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية للكتاب، ج2، ص66.

(2) حسين، عبد القادر، 2001، التفسير البلاغي الميسر، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، ج25، ص57.

(3) عرفة، عبد العزيز المعطي، 1984، من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، عالم الكتب، بيروت، ط2، ص103.

(4) الزركشي، بدر الدين محمد، (د.ت)، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، ج2، ص331.

عن معناها إلى دلالة التقرير: "الاستفهام هنا جاء لتقرير الرسول أنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) خيرٌ من آلهتهم، ومع ذلك فقد عَبَدَه النصارى، فلِمَ لَمْ تعبد قريش أوثانها"(1). والاستفهام جاء لتقرير الرسول أنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) هو الأفضل، فلِمَ لَمْ يعبد قريش آلهتهم.

قال الله تعالى: { وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ } (الزخرف: 51).قد نظم الاستفهام التقريري في القرآن لغرض أسلوبي هو التذكير والافتخار، فقد قصد فرعون حمل المخاطبين على التصديق والاعتراف أنَ له ملك مصر وأنهارها، فهو يريد أن يبعدهم عن الحق واتباعه، وأنْ يجعلهم معه في ضلاله. وأنْ يقرهم على ما قرّ بداخله من ملك.

3 ـــ النفي: تدور كلمة (النفي) لغة حول الطرد والإبعاد، ويقال: "نفيت الرجل وغيره أنفيه نفيًّا إذا طردته ونفي الشيء نفيًّا: جحده"(2). والمعنى اللغوي للكلمة مراد كذلك في الاستفهام الذي يقصد النفي من سؤاله فيطلب من المسؤال أنْ يقرّ بالسلب، وتأتي لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولًا، والقيمة البلاغية من هذا الاستفهام إنّه تحرّك الفكر، وتنبّه للعقل، وتحثّ الإنسان على النظر والتأمل.

وقد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو الاستفهام، وذكره (ابن فارس) معنىً مجازيًّا من معاني الاستفهام (3)، ولم يذكره السبكي وإنما اكتفى بذكر معنى الإنكار(4)، والنفي الاستفهامي يحمل الذهن على التفكير والمشاعر على أنْ تتجاوب مع النص حيث لا يكون صريحًا وإنما يفهم ضمنا"(5). ومن جماليات عدول الاستفهام عن معناه الأصلي تعزيز التفكير، ويكون أكثر ترابطًا مع النص، ويُساعد على زيادة الإيقاع.

قال الله تعالى{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}(الزخرف: 66). قال (أبو السعود): "{هل ينظرون} أيّ ما ينتظر الناس {إلا الساعة أنْ تأتيهم} أيّ إلّا إتيان الساعة {بغتة} أيّ فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا منكرين لها، وذلك قوله تعالى: {وهم لا يشعرون}"(6).ويحذر الله اللاهين عن ذكره، المنشغلين بأمور الدنيا، فما كان لهم إلا أنْ تأتيهم الساعة بغتة دون الاستعداد لها، والاستفهام بمعنى النفي، والنفي والاستثناء يفيد القصر، أيّ تأتيهم فجأة لا عن ترقب وانتظار.

ثانيًا: (الأمر لغة واصطلاحاً)

الأمر في اللغة هو: "نقيض النهي، أمره يأمره أمرًا وإمارة، فأتمر أيّ قبل أمره "[7]. فهو مناقض للنهي، والأمر طلب لإيقاع الفعل، وأمّا في الاصطلاح عند النحويين، وقال (ابن يعيش): "الأمر معناه: طلب الفعل بصيغة مخصوصة"[8]. وحدد للأمر لابُدّ أنْ يكون له صيغة معينة مخصوصة للأمر، وأمّا اللغويون فقد عرفه (ابن فارس) بقوله: "الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصيًّا" [9]. أيّ لابد أنْ يفعل المأمور ما طلب من الآمر، فإنْ لم يفعل سمي عاصيًّا، وأمّا البلاغيون فقد وضعوا حداً للأمر بأنّه: "صيغة تستدعي، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا: صيغة تستدعي، أو قول ينبئ ولم نقل:افعلْ ولتفعلْ، ويقول المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل نحو قولنا: نزالِ وصه فإنهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة افعل"[10]، وعند قراءة التعريفات

---

(1) حسين، عبد القادر،(د.ت)، التفسير البلاغي الميسر، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، ج25، ص75.

(2) الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407 هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج2 ، ص277.

(3) ابن فارس، أحمد، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 295.

(4) السبكي، بهاء الدين، 2003، عروس الأفراح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص295.

(5) البقري، أحمد ماهر، 1989، أساليب النفي في القران، المكتب العربي الحديث، القاهرة، ص298.

(6) أبو السعود، محمد بن محمد، (د.ت)، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث الغربي، بيروت، ج8، ص53.

(7) ابن منظور، جمال الدين، 1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، ج4، ص26.

(8) ابن يعيش، موفق الدين، 1994، شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت، ط1، ج7، ص58.

(9) ابن فارس، أحمد، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، ص187.

(10) ابن علي العلوي، يحيى، 1914، الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، مصر، ج3 ص282.

المذكورة آنفًا التي جاءت على لسان النحويين، والبلاغيين، نجدُ أنَّ منهم من ذكر علو الرتبة للأمر وهو قيام المخاطب بالفعل من جهة الاستعلاء، والامتثال للأمر المراد بالأمر ممّا تناولناه من مفاهيم، طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء والالزام، وهو الأمر الحقيقي.

ـــ صيغ الأمر: إنّ لأسلوب الأمر صيغًا تودي معناه وتفضي إليه، سواء كانت تلك الصيغ حقيقة أم مجازية، وهي: "الأمر بصيغة (افعل)، والأمر بصيغة (ليفعل)، والأمر بصيغة (أسماء الأفعال)، والأمر بصيغة (المصدر النائب عن فعل)" [1]. ويفهم ممّا سبق أنّ أسلوب الأمر لا يخرج من هذه الأربعة أصناف، والمراد بصيغة (افعل) هو كل لفظ يشتق على غرار (افعل) للدلالة على طلب الحدث الذي تشتق منه هذه الصيغة، وفي حين أنّ المضارع المقرون بلام الأمر وهذه اللام تستعمل في أمر الغائب، ولام الأمر يطلب بها الفعل المضارع الدالة عليه، والأمر بصيغة المصدر النائب عن فعله هي صيغة الأمر التي يستعمل فيها المصدر منصوبًا، ويخرج فعل الأمر عن معناه الأصلي، وهو طلب الفعل على وجه الإلزام إلى معانٍ ودلالات أخرى تحمل معنى الطلب تظهر من خلال الكلام وأحواله، ومن هذه المعاني:

1ــ التمني: يوصف التمني أنّه: "الطلب الذي لا يُرجى وقوعه"[2]. التمني هو أنْ يتمنى المرء شيئًا يستحيل حصوله، ولا يقع أبدًا. والتمني يخالف الرجاء؛ لأنّ الرجاء قد يتحقق أمره، في حين أنّ التمني لا يتحقق.

قال الله تعالى: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ } (الزخرف: 77). ينادي الكفار يومئذ خازن النار ويتمنون على أن يميتهم، وينتهوا من هذا العذاب الشديد: " {ونادوا} خازن النار {يا مالك} وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر، ولعله رمز إلى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه {ليقض علينا ربك} أيّ ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته والمعنى سل ربك أنْ يقضي علينا، وهذا لا ينافي ما ذكر من إبلاسهم؛ لأنه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة"[3]. والأمر في قوله:{ليقض} خرج من المدلول الأصلي إلى أسلوبيّة دلالية تتناسق مع الحوار هي التمني، فهم يتمنون شيئًا مستحيلًا، بأنْ يخرجهم من النار ويخفف عنهم العذاب. طلبًا للراحة والسلامة.

2ــ الترغيب والحث:

- الحثّ هو الحض على فعل شيء على وجه السرعة، والحث في الأمر، والترغيب يكون في الخير، وأنْ يحرص عليه ويتشوق له، وقال الله تعالى:{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}(الزخرف: 61)

ويدعو عيسى (عليه السلام) أمته إلى الإتباع والعبادة: "وإن عيسى (عليه السلام)، لدليل على الساعة، وأنّ القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو إنّ عيسى (عليه السلام)، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة {فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا} أيّ: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. {وَاتَّبِعُونِ} بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، قال الله تعالى: {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} موصل إلى الله (عز وجل)"[4]. وجاء الفعل (اتبعون) بصيغة الأمر؛ ولكنه انعدل عن المعنى الأصلي إلى دلالة الترغيب والحث على اتباع الرسول(صلى الله علية وسلم) حتى ينجو من عذاب النار.

3ــ الاعتبار:

- الاعتبار لغةً الاتعاظ ويُعرّفُ (الجرجاني) الاعتبار بوصفه: " النظر في الحكم الثابت أنّه لأيّ معنى ثبت وإلحاق نظيره به"[5]. أنْ يتعظ المرء بغيره في ما مضى من القرون والأزمان. قال الله تعالى: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الزخرف: 25)

مَن يعص الله يلقَ الجزاء: "فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ" بِالْقَحْطِ وَالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ" فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" آخِرُ أَمْرِ من كذب الرسل"[6]. ومن يعصي الله ينله من عذاب الله الشديد، ولفظة (انظر) مدلولها الدلالي على الفطنة والاعتبار لَمّا حدث في الأمم السابقة الذين عصوا الرسول، ولم يتبعوه.

4ــ الإباحة :

---

(1) الأوسي، قيس إسماعيل،1988، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين، بيت الحكمة، بغداد، ط1،ص113.

(2) مطلوب، أحمد، 1980، أساليب بلاغية،وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت،ص112.

(3) أبو السعود، محمد بن محمد، (د.ت)، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث الغربي، بيروت ج8، ص55.

(4) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 2000، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، ص868.

(5) الجرجاني،علي بن محمد، 1983، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص24

(6) الطبري، محمد بن جرير، 2000، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط1ج16، ص76.

الإباحة في اللغة تعني: "المباح خلاف المحظور، أبحتك الشيء أحللته لك، أباح الشيء أطلقه"[1]. وذلك عندما يتوهم المخاطب أنّ الفعل محظور عليه، ويكون الأمر إذنًا له بالفعل.

- قال الله تعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} (الزخرف: 70) يكافئ الله (سبحانه وتعالى) عباده المخلصين في الدنيا، يفتح لهم أبواب الجنة إكرامًا من الله (سبحانه وتعالى) لهم، والعدول في صيغة الأمر (ادخلوا) إلى دلالة الإباحة والإذن لهم بدخول الجنة، والتمتع بنعيمها .

4ـ التهديد:

التهديد يكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلّم في مقام عدم الرضا عنه، وقيام المخاطب بفعل ما أُمر به تخويفًا وتحذيرًا له"[2]. أيّ يأخذ الأمر على العكس، ويكون هناك غير راضٍ بما يفعله المخاطب.

- قال الله تعالى: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} (الزخرف: 83 (

فهم منغمسون في دنياهم:"{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا} فِي بَاطِلهمْ {وَيَلْعَبُوا} فِي دُنْيَاهُمْ {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} فِيهِ الْعَذَاب وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة"[3]. وهذا الأمر يحمل في طياته تهديد ووعيد لهم يوم القيامة.

المبحث الثاني: العلاقات الدلالية

نقصد بالعلاقات الدلالية هو مجمل علاقاتها بالكلمات الأخرى في الحقل الدلالي نفسه، وهو مكانها في نظام العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية.

أولًا: العلاقات الدلالية في الترادف

1ـ مفهوم الترادف (لغةً واصطلاحً):

يدور معنى الترادف في المعاجم وكتب اللغة على التتابع والتوارد والتعاون والركوب، وقال (ابن منظور): "الردف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئًا فهو رِدْفه، وإذا تتابع شيء فهو الترادف، ويقال: جاء القوم ردافي أيّ بعضهم يتبع بعضًا، والردف: الكفل والعجُز، وخصّ بعضهم بعجيزة المرأة، والجمع أرداف، وردف الرجل وأردفه، وركب خلفه، والمترادف: كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان، وأردف النجوم: تواليها وتوابعها، وأردفت النجوم أي توالت"[4]. وكلمة الترادف تقترب من معاني التتابع والتوالي والتوارد والركوب، وجميعها تتطلب التعاون، كما أنّ ردفي الإنسان أو الحيوان يتتابعان أو يتواليان أو يتعاونان في المشي والركوب.

واختلف العلماء وتباينت آراؤهم في بيان حدّ الترادف، ولبيان هذا الاختلاف لابُدّ من استعراض بعض آرائهم، وأمّا الترادف بوصفها ظاهرةً لُغوية عند علمائها القدامى تُعرف بوصفها: "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[5]. وفرق الرازي بين الاسم والحد، وبين المتباينين، وبين التوكيد وبين التابع، فالحد ليس من الترادف، وإنْ كان يحمل معنى نفس الاسم؛ لأنّه يفصل بينه وبيين معنى الاسم لمشكل، إلا أنّه جملة مركبّة، والتراكيب يشترط فيه انفراد الألفاظ.

وقد قال (سيبويه): "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضلة وأشباه كثيرة"[6]. وقد أشار (سيبويه) في تقسيمه للألفاظ في باب اللفظ للمعاني إلى ظاهرة الترادف؛ ولكن دون أنْ يذكر مصطلح الترادف، والقسم الثاني عبّر عنه: باختلاف اللفظين والمعنى واحد، وقد مثل له بقوله: ذهب، وانطلق.

2ـ أسباب الترادف:

شغلت ظاهرة الترادف حيزًا كبيرًا لدى اللغويين قديمًا وحديثًا؛ نظرًا لغموض حدّ الترادف عند الدارسين، ولاختلاف مناهجهم وتعدد آرائهم في دراسة هذه الظاهرة، وسنذكر أهم الأسباب:

أ) اختلاف اللهجات:

---

[1] ابن منظور،جمال الدين،1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،ج2 ، ص416.

[2] عتيق، عبد العزيز، 2009، علم المعاني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، ص63.

[3] السيوطي والمحلي، جلال الدين عبد الرحمن، جلال الدين محمد،(د.ت) تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، ج1، ص655.

[4] ابن منظور، جمال الدين، 1999 ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،ج5، ص189.

[5] السيوطي،جلال الدين، 1998، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،ج1، ص319.

[6] سيبويه، عمرو بن عثمان،(د.ت)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، ج1، ص24.

اللغة العربية ذات لهجات متعددة، واللغة العربية المشتركة تشكلت من لهجات القبائل العربية المتنوعة، وأنّ هذه اللهجات تختلف في بعض الصفات والخصائص اللغوية، ولعل المسائل الصوتية وطرائق نطق الكلمات هي الجانب الأبين الذي تظهر فيه الاختلافات: "وما يهمنا من هذا الاختلاف هو ما يتعلق بالمستوى الدلالي للألفاظ ولاسيما في مسألة التسمية، إذْ يلاحظ أنّ لغة من اللغات قد تسمي شيئًا باسم معين، وفي حين تسميه لغة أخرى باسم آخر، وقد تسمية لغة ثالثة باسم ثالث، وعلى هذا النحو تتعدد الأسماء للمسمى الواحد، وذلك بحسب اختلاف لغات القبائل، ومن هنا كان اختلاف اللغات سببًا من أسباب وقوع الترادف في اللغة العربية الموحدة"[1]. يُعدّ اختلاف اللهجات من بين أوضح أسباب وقوع الترادف، وأكثرها وجاهة، والاختلافات الناتجة بين القبائل بعضها بعضًا تُعد من أبرز الأسباب لنشوء الترادف.

ب) الاقتراض من اللغات الأجنبية:

الاقتراض من اللغات الأجنبية لألفاظ تؤدي معاني بعض الألفاظ الموجودة في اللغة: "الاستعارة من اللغات الأجنبية التي تجاور العربية في الجاهلية وصدور الإسلام، وبين الكلمات المترادفة التي رويت لنا، الكثير من الألفاظ المستعارة من الفارسية وغيرها مثل: الدمقس، والاستبرق للحرير، واليم للبحر، وغير ذلك"[2]. واللغة العربية تستوعب لألفاظ اللغات الأخرى، وغالبًا لا نجد هذا كثيرًا في اللغات الأخرى.

ج) التطور الدلالي:

إنّ دراسة الألفاظ المترادفة وفق تطور الدلالة وملاحظة استعمالاتها من الناحية التاريخية، يثبت: "أنّ ظاهرة الترادف في جوهرها مسألة دلالية قبل كل شيء، وهي غالبًا ما تكون نتيجة التطور في دلالة الألفاظ فهي تؤلف موضوعًا لُغويًا تاريخيًا من حيث عِلْم الدلالة التاريخية، وبهذا التفسير يمكن أنْ نرد كثيرًا من المترادفات إلى حقيقتها في التطور والاستعمال"[3]. وتشكل اللغة كائن حيّ يعيش على ألسنة المتكلمين به، وحياة اللغة لا تسير في وتيرة واحدة، إذْ نَجِدُ فيها الأحداث والأطوار التي تمرّ بها، وتتطور الدلالة لكثير من الكلمات.

واختلف الباحثون قديمًا وحديثًا في ترادف ألفاظ اللغة بين منكر لوجودها ومؤيد، ومنهم مَن ضيق من دائرتها بوضع الشروط والقيود، ومنهم مَن توسع في المترادف إذْ: "يمكن القول مع كل هذا إنّه ليس هناك مرادفات حقيقية، وأنّ ليس هناك لكلمتين نفس المعنى تمامًا"[4]. والذي ينكُر هذه الظاهرة يرى أنّ هناك فروقًا ومعاني جزئية دقيقة بين الكلمات التي يُظنّ أنها مترادفة والألفاظ وإنْ تقاربت معانيها غير أنّ لكل لفظ هويّة معنويّة خاصّة به، وذهب آخرون إلى إقرار الترادف، وراحوا يحتجّون له من الواقع اللغوي، ويجمع كبير من المترادفات التي جمعها رواة اللغة، دون البحث في الفروق الدقيقة بينها، إضافة إلى كونهم: "تجاهلوا تطوّر الدلالة فيها، وخلطوا بين عصور اللغة، ولذا جمعوا بين لفظ عُرفت له دلالة جاهليّة قديمة، وآخر اشتهر بدلالة إسلاميّة حديثة"[5]. ولا ضير على مَن عُنى بإبراز الفروق بين الألفاظ المترادفة؛ رغبة في الوقوف على أسرار اللغة العربية في تعدد الألفاظ للمعاني المتقاربة لا رغبة في إنكار المترادفات.

نماذج تطبيقية لظاهرة الترادف في سورة الزخرف:

1ــ الترادف بين (السرّ والنجوى)

- قال الله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُون} (الزخرف: 80) جاء لفظ (النجوى) معطوفًا على (السرّ) في الآية الكريمة السابقة، وقد فسر (ابن منظور) السرّ بقوله: "السرّ من الأسرار التي تكتم، والسرّ: ما أخفيت، والجمع أسرار، والسريرة: عمل السر من خير أو شرّ، "[6]. والسرّ أصله الخفاء والكتمان، وكُنّي عن النكاح بالسرّ من حيث إنّه يُخفى، وأسارير الوجه لغُضُونها.

وأمّا النجوى فقد جاء في لسان العرب: "جاه نجْوًا ونجوى: سارّه، والنجوى والنجيّ: السرّ، والنجو: السرّ بين اثنين، وانتقى القوم، وتناجوا: تسارّوا، والنجوة ما ارتفع من الأرض فلم يعلُه السيل"[7]. ويبدو أنّ (ابن منظور) فسّر اللفظين مبينًا المعنى العام المشترك بينهما للتقريب، وليس للتدليل على أنهما مترادفان بمعنى واحد، ولكل لفظ منهما دلالة خاصة ينفرد بها.

وفرق (أبو هلال العسكري) بين اللفظين مبينًا: "أنّ النجوى اسم للكلام الخفي الذي يناجي به الإنسان صاحبه، وكأنه يرفعه عن غيره، وذلك أنّ أصل الكلمة الرفعة، والسرّ إخفاء الشيء في النفس، والنجوى تتناول جملة ما يتناجى به من الكلام، والسرّ يتناول معنى ذلك، وقد

---

[1] الزيادي، حاكم مالك، 1980، الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، (د.ط)، ص144.

[2] عبد التواب، رمضان،1994، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ص316

[3] الزيادي، حاكم مالك، 1980، الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، (د.ط)، ص144.

[4] ف. بالمر، 1985، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب،ص104.

[5] أنيس، إبراهيم، 1992، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ص219.

[6] ابن منظور،جمال الدين، 1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،ج6، ص235.

[7] المصدر نفسه،ج14، ص62.

يكون السرّ في غير المعاني مجازًا، والنجوى لا تكون إلا كلامًا"[1].والنجوى تختلف اختلافًا يسيرًا عن السرّ، إذ إنّ النجوى هي الكلام بصوت خفيّ، والسرّ كتمان الشيء بداخلك.

قال الله تعالى: { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُون} (الزخرف: 80(

وذهب بعض المفسرين في كتب التفسير إلى أنّ الآية التي سبقت هذه الآية، نزلت في تدبير قريش بالمكر بالنبي(صلى الله علية وسلم) في دار الندوة، حين استقرّ أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أنْ يبرز من كل قبيلة رجل؛ ليشتركوا في قتل النبي(صلى الله علية وسلم)؛ حتى لا يستطيع (بنو هاشم) المطالبة بدمه:"والكلام في الآية الكريمة بعد (أم) استفهام حذفت منه أداة الاستفهام، وهو استفهام تقريري وتهديد، وضمير (يحسبون) مراد به المشركون الذين يدبرون بالمكرّ بالنبي (صلى الله علية وسلم)، وضمير (أنا) ضمير الجلالة، والسمع هو العلم بالأصوات، والمراد بالسرّ: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر للنبي(صلى الله علية وسلم). وأمّا النجوى: ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي"[2]. وجاء كل لفظة في مكانها لتؤدي الدلالة التي وضعت لها فالله (سبحانه وتعالى) قادر على أنْ يسمع الكلام الخفي الذي يتناجون به الكفار فيما بينهم.

2 ــ الترادف بين(عيسى، وابن مريم):

- قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (الزخرف: 63(

ويقصد بكلمة عيسى: " اسم علم، وإذا جُعل عربيًّا أمكن أنْ يكون من قولهم: بعير أعيس، وناقة عيساء، وجمعها عِيس، وهي إبل بيض يعتري بياضها ظلمة"[3].

والمتأمل في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ} وغيرها من الآيات التي ذُكر فيها كلمة (عيسى)، يَجِدُ أنّ المقامات فيها مقامات رسالة ونبوة يلزم فيها التحديد والتعيين: "وأمّا ذكره بالاسم عيسى وحده فقد جاء في مواضع أريد فيها الإعلام والتشخيص"[4] الذي يؤديه الاسم العلم المشخص للذات، لذا ولم يرد الاسم العلم (عيسى) مسبوقًا باللقب (المسيح) أو متبوعًا بالكنية، ففي سياق هذه الآية الكريمة تخبرنا بالرسول (عيسى) الذي ذهب بالبينات والحكمة؛ لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور.

- وفي قوله تعالى: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}(الزخرف: 57(

ضرب الله مثلًا في سيدنا عيسى (عليه السلام) في كونه ولد من دون أب، وكذلك الحال مع والدته التي أنجبته من دون اتصال بشري، والمقال هنا مقام المثل وإعجاز، وليس مقام تشخيص وإعلام، ومن خلال ما سبق نَخْلُص إلى أنّ الاسم (عيسى) إذا ورد في القرآن الكريم فهو في مقام النبوة والرسالة التي يجب فيها التحديد والتعين، وفي حين لو ذكرت الكُنية (ابن مريم) فهي في مقام العِبرة والمعجزة على بشريته, والله أعلم.

3 ــ الترادف بين (جاء، وأتى):

- قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ } (الزخرف: 30(

يعرف الراغب كلمة (جاء): "جاء يجيء جيأة ومجيئًا، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول"[5]. المجيء أصعب حالًا بعد مجيء القرآن، وسيشهد عليهم يوم القيامة بإبلاغهم ما أمرهم الله (جل جلاله)، وأنهم واقفون يوم القيامة أمام الله تعالى ليسألوهم عن ذلك، فالأمر صعب عليهم بعد مجيء القرآن، وإثبات الحجة عليهم.

- ففي قوله تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ} (الزخرف: 21(

يقول الله تعالى للكفار: هل أتيناكم كتابًا من قبل القرآن ينطق بصحة ما تدعونه من عبادة غير الله، كي تتمسكوا به، وتتركوا عبادة الله (سبحانه وتعالى)، الأمر فيه ريبة وشك على قولهم وكفرهم بالله تعالى؛ لأنّ الله تعالى لم يرسل لهم كتابًا يأمرهم بذلك.

ويُعرف الإتيان بأنّه: "مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه، أتيٌّ وأتاويٌّ، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير والشر وفي الأعيان والأعراض"[6] ويظهر من خلال المقاربة بين المعنيين أنّ المجيء أعم من الإتيان، وأنّ المجيء لا يأتي إلا في المضارع، ومجيء الإتيان أيسر من المجيء.

---

[1] العسكري، أبو هلال، 2000، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص75.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج25، ص262.

[3] الأصفهاني، الحسين، (د.ت)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص596.

[4] دردير، علي اليمني، 1985، أسرار الترادف في القرآن الكريم، دار ابن حنظل، ط1، ص91

[5] الأصفهاني، الحسين، (د.ت)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص212.

[6] المصدر نفسه، ص61.

ثانيًا: المشترك اللفظي

1ـ مفهوم المشترك (لغةً واصطلاحًا):

يُعرِفُ (الفراهيدي) المشترك اللفظي لغةً بأنَّه: "المخالطة، ويقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، ومنه: فريضة مشتركة: يستوي فيها المقتسمون وطريق مشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك تشترك فيه معانٍ كثيرة"[1]. المعنى اللغوي للمشترك تدور في فلك: المخالطة والامتداد والاستقامة.

وعرفه (أحمد بن فارس): "وقد حده أهل الأصول بأنّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[2]. ويتبين من التعريف أنّ المقصود بالمشترك اللفظي وجود لفظ واحد يشترك في دلالته معنيان أو أكثر، وأنّ هذه المعاني تكون متنوعة، وقصد بقوله: على السواء عند أهل اللغة أي يستوي أنْ يدُل على هذا اللفظ عند أهل لغة ما على هذا المعنى أو ذاك، ويعرف (الشوكاني) المشترك بوصفه: "اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين، أو أكثر وضعًا أولًا، من حيث هما كذلك، فخرج بالوضع، ما يدلّ على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز، وخرج بقيد الحيثية المتواطئ، فإنه يتناول الماهيات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد"[3]. يقصد بذلك اللفظة واحدة؛ ولكنها تدلّ على معانٍ كثيرة.

2 ـ نشأة المشترك اللفظي:

نقل (ابن سيده) عن أبي علي الفارسي قولًا يبين السبب في نشأة المشترك اللفظي، وقال أبو علي: "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين لا ينبغي أنْ يكون قصدًا في الوضع ولا أصلًا؛ ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"[4]. وهذا القول يبين أنّ الاشتراك في اللفظ مع الاختلاف في معناه قد ينشأ من تداخل اللغات أو سبب الاستعارة.

وثمّة سبب آخر أشار له (الرازي): "هو من حيث النظر إلى عدد الألفاظ بالقياس إلى المعاني، وممّا لا شك فيه أنّ الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك"[5]. أيّ فإذا وزعت وقسمت الألفاظ على المعاني وجب أنْ يستوعب اللفظ الواحد أكثر من معنى حتى تتسع الألفاظ سائر المعاني.

3 ـــ أهمية المشترك اللفظي:

أنّ المشترك اللفظي أهمية كبيرة في إثراء اللغة العربية، ولايقل في الأهمية عن أيّ عامل من عوامل تميتها، وهو علامة على اتساع العربية في التعبير، إذْ يوسع على الناظم والساجع في ذِكْر اللفظ بعينه مع اختلاف المعاني، والمشترك اللفظي: "خصيصة لا تنكر من خصائها الذاتية"[6]. وهو إلى جانب ذلك له الكثير من المزايا الأخرى، فهو يخلص من المآزق ويستر الزلات، وهو عون الشاعر والناشر في أداء أغراضه، واتساع مجال القول أمامه.

4 ـ آراء العلماء في المشترك اللفظي:

اختلف العلماء في مبلغ ورود المشترك اللفظي في اللغة العربية، ومنهم مَن أنكره كابن درستويه، وحجته أنّ: "اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضْع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية". لذا عمل على تأويل أمثلة المشترك، بوصفه جعل إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة، وفي المعاني الأخرى مجازًا، وفي حين الأكثرون من علماء اللغة قالوا بوقوع المشترك في اللغة، وأنه كثير الورود في العربية، ومنهم الأصمعي والخليل، وسيبويه، وأبو عبيدة[7].

يرد أحيانًا اللفظ الواحد في سياقات متنوعة، وتكون بعضها داعمة في معانيها للسياقات الأخرى، وذلك من خلال ما تتسم به من معانٍ واضحة القوة، ساطعة الدلالة على قدرة الله (سبحانه وتعالى)، ومثال ذلك:

---

(1) الفراهيدي، الخيل، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السمرائي، دار الرشد، العراق، (د.ت)، ج5، ص293.

(2) ابن فارس، أحمد، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، ص261.

(3) الشوكاني،محمد بن علي، 1999، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو، دار الكتاب العربي، ط1، ج1، ص57.

(4) الرازي، فخر الدين محمد، 1988، المحصول في علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، ص96.

(5) عباس، حامد، 2004 ، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى (دراسة لغوية)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، ص183

(6) ظاظا،حسن، 1990،كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار القلم والنشر والتوزيع، الدار الشامية، ط1، ص109.

(7) ابن فارس، أحمد، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 171.

ــ جعل:

إنّ من الأمثلة على المشترك اللفظي في السورة الفعل (جَعَلَ)، الذي جاء بصيغ متنوعة، تدُل على قدرة الله (سبحانه تعالى)، وذكر (أبو هلال العسكري) من معاني جعل: "تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه، ومعنى الإحداث، ومعنى الخبر، ومعنى الحكم"(1). وقد يكون من معاني (جعل) تغيير الصورة من حال إلى حال، وتقترب بذلك من التصيير، ومن معاني (جعله) في اللغة: صنعه، وجعله: صيّره، وجعل: عمل وهيّأ، وجعل: خلق "(2). والمعنى اللغوي يقترب التحويل والتصيير.

قال الله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (الزخرف: 10)، وجاء بمعنى تصيير الشيء، فجعل الله (سبحانه وتعالى) الأرض ممهدة ومستوية ليسير فيها خلقه. {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الزخرف: 3). إنّا صيرناه قرآنًا عربيًّا تيسرًا لهم. وجاء بمعنى أوجد، في قوله تعالى: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} (الزخرف: 12) بمعنى أنّ الله تعالى أوجد هذه الأشياء ولم تكن من قبل، وجاء بمعنى الحكم على الشيء بالباطل، بمعنى أنهم ادعوا على الله (جلّ جلاله)كذبًا وبهتانًا على الله (سبحانه وتعالى): {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (الزخرف: 19). فقد حمل (جعل) المعاني الآتية في السورة: (أوجد، صيّر، الإدّعاء بالباطل)، وجاءت الآيتان لتدلا على كرم الله (عزوجل) لعباده، والآية الثالث على جحود الكفار لنعم الله، وهذا يدُل على قدرة الله (جل جلاله)، إذ تحدى أهل اللغة والفصاحة فيما كانوا يبرعون ويمهرون.

ــ الأمة:

وفي قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} (الزخرف: 23). الأمة: "كل جماعة يجمعهم أمر ما، وإما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا وجمعها أمم"(3). وكلمة (الأمة) تدُل على أيّ جماعة بعيدًا عن الانتماء، ولكن يشترط الاتفاق في دين معين أو مكان وزمان معين، ولو أنعم الله على الكافرين بالبيوت المزينة والمحلاة بالفضة ومعارج.

وقال الله تعالى:{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ } (الزخرف: 22) ودعا الرسول قومه إلى توحيد العبادة لله ونبذ عبادة الأصنام وغيرها، وكانت إجابتهم إنهم وجدوا آباءهم على هذه الملة والطريق، والأمة في هذه الآية تعني: الملة التي وجدوا آباءهم عليها، فهم ينهجون نهجهم، وممّا سبق يظهر لنا الفرق بين هاتين اللفظتين فـ (الأمة) في الآية الأولى تعني جماعة واحدة في حين أنّها في الآية الثانية تعني الملة والدين والطريقة، ويَدُل ذلك في إعجاز القرآن الكريم في استخدام ألفاظه التي تعمل على زيادة الإيقاع والتأثير في المتلقي.

ــ ذِكْر:

قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف: 44). شرف القرآن والرسالة لا تساويها شرف:"وإنّ الذي أوحى إليك لَذِكْرٌ لشرف لَكَ وَلِقَوْمِكَ، وَلسوف تُسْئَلُونَ عنه يوم القيامة، وعن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وشكركم على أنّ رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين"(4) ما أنزل على نبيه فهو شرف له ولأمته؛ فمن ثَمَّ يجب أنْ يحافظ عليه وعلى ضوابطه هو وأمته، وجاءت كلمة (ذكر) في الآية الكريمة تعني إنّه لشرف له ولأمته.

وفي قوله: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف:36). ويقول تعالى ذكره: "وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، ويقال منه: عشا فلان يعشو عشوا وعشوّا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة"(5). مَن يحيا الإنسان العابد ربه حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وأمّا الذين يصدون ويبعدون عن ذكر الله (عزوجل) سيكون الشيطان له قرينًا ملازمًا له، وذكرت لفظة (ذكر) في الآية الكريمة تعني طاعة وعبادة الله (سبحانه وتعالى).

---

(1) العسكري، أبو هلال، 2000، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص110.

(2) ابن منظور،جمال الدين، 1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،ج3، ص235.

(3) الأصفهاني، الحسين،(د.ت)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص23.

(4) الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407 هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج4 ، ص254.

(5) الطبري، محمد بن جرير، 2000، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط1، ج21، ص603.

ويظهر من خلال الآيتين السابقتين جاء لفظة (ذكر) في كل آية، ولكن اختلف المعنى وفق السياق، في الآية الأولى جاءت بمعنى شرف وهي تتناسب تمامًا مع سياق الكلام والحديث عن القرآن والإسلام، وجاءت كلمة (ذكر) في الآية الأخرى بمعنى طاعة وعبادة لله (سبحانه وتعالى)، وهذا المشترك اللفظي يتوافق مع الذين أنزل الله عليهم القرآن؛ لأنهم كانوا يحبون التنوع في أساليب الكلام .

الخاتمة:

تناول البحث العلاقات الدلالية في سورة الزخرف بوصفها ظاهرة أسلوبيّة دلالية في سورة الزخرف بطريقة تحليلية وصفية من خلال دراسة تطبيقية، واتخذ من نظرية التحليل الأسلوبي مرتكزًا لها في إبراز المستوى الدلالي، إذ درستُ الإنشاء الطلبي المجازي من خلال نافذة الاستفهام والأمر، وتم تعريفهم لغة واصطلاحًا، وكشفت الدراسة عن جماليات خروج الاستفهام والأمر من معناهم الأصلي إلى دلالات متنوعة، وتم التعريف ببعض هذه الدلالات.

وشمل البحث دراسة لظاهرتين من الظواهر اللغوية (الترادف، والمشترك اللغوي)، وقد عرّف البحث المشترك اللفظي والترادف لغةً واصطلاحًا، ونشأتهم وأسباب ظهورهم، والأثر الدلالي لكل ذلك في بيان معاني القرآن الكريم، وأنّ الترادف والمشترك اللفظي يندرجان تحت الإعجاز بالفصاحة والبلاغة واعتباره وجهًا من وجوه الإعجاز، وبعد البحث والتقصي عن هذه الظواهر اللغوية، نصل إلى تعليل ظاهرتي الترادف والمشترك اللفظي في القرآن الكريم من خلال نماذج تطبيقية من الاستفهام والأمر وخروجهما عن معناهم الأصلي إلى دلالات مجازية، وهذه الظواهر تؤدي إلى جماليات وتناسق وإبراز الإعجاز اللغوي في كتاب الله (عز وجل).

المصادر والمراجع:

- ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن علي العلوي، يحيى، 1914، الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، مصر.
- ابن فارس، أحمد، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف.
- ابن منظور،جمال الدين،1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3.
- ابن يعيش، موفق الدين، 1994، شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت.
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث الغربي، بيروت.
- الأصفهاني، الحسين، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- أنيس، إبراهيم، 1992، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الأوسي، قيس إسماعيل،1988، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغين، بيت الحكمة، بغداد.
- البقري، أحمد ماهر، 1989، أساليب النفي في القران، المكتب العربي الحديث، القاهرة.
- الجرجاني،علي بن محمد، 1983، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- حسين، عبد القادر،2001، التفسير البلاغي الميسر، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر.
- دردير، على اليمني، 1985، أسرار الترادف في القرآن الكريم، دار ابن حنظل، ط1.
- الرازي، فخر الدين محمد، 1988، المحصول في علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1.
- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، القاهرة.
- الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.
- الزمر، أحمد قاسم، 1996، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن.
- الزيادي، حاكم مالك، 1980، الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، (د.ط).
- السبكي، بهاء الدين، 2003، عروس الأفراح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 2000، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
- السيوطي والمحلي، جلال الدين عبد الرحمن، جلال الدين محمد، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة.

●السيوطي،جلال الدين، 1998، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت.

●الشوكاني،محمد بن علي، 1999، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو، دار الكتاب العربي، ط1.

●الطبري، محمد بن جرير، 2000، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

●ظاظا،حسن، 1990،كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار القلم والنشر والتوزيع، الدار الشامية، ط1.

●عباس، حامد، 2004 ، الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى (دراسة لغوية)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.

●عبد التواب، رمضان،1994، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة.

●عبد الغني، أيمن ، الكافي في البلاغة، تقديم: رشدي طعيمة، فتحي حجازي، ياسر برهامي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.

●عتيق، عبد العزيز، 2009، علم المعاني، دار النهضة العربية، القاهرة.

●عرفة، عبد العزيز المعطي، 1984،من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، عالم الكتب، بيروت.

●العسكري، أبو هلال، 2000، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

●ف. بالمر، 1985، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب.

●الفراهيدي، الخيل، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السمرائي، دار الرشد، العراق، (د.ت).

●مطلوب، أحمد، 1980، أساليب بلاغية،وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت.

●نواري، سعودي أبو زيد، 2007، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ط).